تعليمية النص الشعري الوطني الجزائري الموجه لتلاميذ المرحلة المتوسطة

– دراسة في الحضور والموضوعات –

الدكتور: عبد اللطيف حني

المركز الجامعي بالطارف

ملخص: سعت المنظومة التربوية في الجزائر إلى تحديث مناهج التربية والتعليم من خلال اعتماد مقاربات جديدة تعمل على تفعيل دور التعليم في الحفاظ على مقومات الأمة، وذلك بإعادة تأليف الكتب المدرسية في جميع المواد التعليمية والاهتمام بشكلها ومضمونها، وقد مس هذا التغير التعليم المتوسط، وعليه يستمد هذه المقالة شرعيتها في البحث في النصوص الشعرية الجزائرية المختارة وجمالياتها الفنية والأسس التي بني عليها اختيارها وتجليات البعد الوطني فيها بوصفه ركيزة من ركائز الشخصية الوطنية تهدف المنظومة التربوية إلى تحقيقه.

Abstract:

Expanded the educational system in Algeria to update the education curricula and education through the adoption of new approaches to activate the role of education in protecting the fundamentals of the nation, and by re-authored textbooks in all educational materials and attention to form and content, has touched this change segendaire school, and it derives this article legitimacy in the search for poetic texts Algerian selected and aesthetic art, and the foundations on which the selection and the manifestations of the national dimension as a pillar of the national character of the educational system aims to achieve.

بسط منهجي : اعتمدت وزارة التربية في الجزائر على مقاربات ومناهج تعليمية حديثة، تهدف من خلالها إلى تفعيل دور التعليم في النهوض بالمجتمع وبناء مقوماته وحفظ تاريخه، وتنمية وتثبيت مكونات شخصية المتعلم الوطنية وحمايته من مختلف حملات الغزو والتغريب وتطعيمه ضد أمراض العولمة، وهذا لا يتأتى إلا من خلال التكوين والتعليم المدروس الذي يحقق أهدافه ويصل بالمتعلمين إلى بر الأمان، وقد ظهرت هذه الجهود من خلال تحديث البرامج التعليمية في مختلف الأطوار التعليمية، وإعادة تأليف الكتب الموجهة للتلاميذ في مختلف المواد الدراسية والأنشطة التعليمية، وقد مس هذا التغيير التعليم المتوسط، إذ شهد نقلة نوعية وتغييرا مثمرا، وعرفت مادة اللغة العربية تغييرا في المنهجية وطريقة تقديم الأنشطة، من خلال الكتاب المدرسي في السنوات الأربع، حيث روعي فيه الجوانب الروحية والوطنية والاجتماعية وتنمية الذوق الأدبي والفني والعديد من المسائل التعليمية والبيداغوجية.

1- مصطلح الوطن بين الدلالة والأهمية:

أ- **مفهوم الوطن:** لقد تناول القدماء مادة- وطن- في مصنفاتهم المعجمية تناولا مستفيضا، وممن تناول ذلك ابن منظور في لسان العرب، حيث يقول : «الوطن :المنزل نقيم به، وموطن الإنسان ومحله...وقد ذكر في موضعه والجمع أوطان الغنم والبقر، مرابطها وأماكنها التي تأوي إليها»[1]، وتستقر بها، ويكون القصد هنا المكان الذي نحل به سواء كان منزلا أم أرضا حيث يقول: «وَطَنَ بالمكان وأَوْطَنَ أَقام الأَخيرة أَعلى وأَوْطَنَهُ اتخذه وَطَناً يقال أَوْطَنَ فلانٌ أَرض كذا وكذا أَي اتخذها محلاً ومُسْكَناً يقيم فيها»[2]، ونسمي مواطن لتلك الأرض«كقولك إذا أتيت فوقفت في تلك المواطن فادع الله لي ولإخوانك»[3].

أما في معجم متن اللغة فكلمة الوطن تعني المكان أيضا فنقول: «وَطَنَ يَطِنُ وَطَنًا بالمكان أقام فيه، اتخذه موطنا، إتطن المكان: أقام به، توطن

المكان: اتخذه وطنا ، الوطن: المنزل تقيم فيه، الوطن كذلك، الموطن: المكان الذي تتخذه موطنا ... »[4].

وقد عرف الجرجاني كلمة الوطن في كتابه التعريفات: «الوطن الأصلي: هو مولد الرجل والبلد الذي هو فيه، وطن الإقامة : موضع ينوي أن يستقر فيه خمسة عشر يوما أو أكثر من غير أن يتخذه مسكنا»[5].

كما جاء في المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية بالقاهرة عن مادة وَطَنَ: «وطن بالمكان: (يطن) وطناً أقام به، أوطن البلد: اتخذه وطنا، توطّن: أقام فيه»[6] وعلى العموم فإن كلمة وطن هي من وطن يطن وطنا بالمكان أي أقام فيه، ووطن نفسه على كذا مهدها له وحملها عليه، والوطن هو المنزل نقيم فيه (الواو والطاء والنون كلمة صحيحة) تعني محل الإنسان أو فاتخذ من الأرض وطنا [7].

أما مفهوم الوطن اصطلاحا فقد أخذ مفهومه منذ القدم إلى العصر الحديث عدة معان ودلالات مختلفة اصطلاحية منها ما يعني« المنزل الذي يحل به المرء وينزل فيه مع أهله وعشيرته، لأن تجمع العرب قديما في بقعة ما كان على أساس بشري قبلي لا على أساس جغرافي مكاني»[8]، هذا المعنى ساد عند العرب قديما، لأن حياتهم كانت تمتاز بالتنقل، وعدم الثبات في أرض معينة خاصة منهم البدو لقساوة الطبيعة وبخلها عليهم بالكلأ والماء والمناخ المساعد على الاستقرار، ومن هذه الزاوية نستنتج أن مفهوم الوطن«كان مرتبطا منذ الجاهلية بظروف الحياة المادية، الحياة في مكان ما تستمر مادام هذا المكان ... يهيئ له حياة هنيئة سعيدة»[9].

وأصبح المفهوم في العصر الحديث، يعني المدينة التي يقطن بها الإنسان مع أهله، وتربطه بها عدة عرى وثيقة، منها المولد والنشأة، فتأخذ منه عاطفة الحنين واشتداد الشوق، عندما ينأى عنها، لتواجد أهله فيها، وقد تأخذه الذكريات المملوءة بمشاهد من أيام الطفولة والصبا في ربوع تلك المدينة، ومن ثم

فإنه لا يستطيع مشاركة وطنه أفراحه وأحزانه، وما تأتي به الحياة من ظروف قاسية أليمة، لا يهونها إلا صديق أو أخ عزيز.

ومن المفكرين المعاصرين من يخالف هذه النظرة للوطن على أساس الارتباط المكاني، ويرون(الماديون) أنه المكان الذي يوفر الحياة الكريمة والأمن والسلام، ولو كان غريبا بعيدا عن الفرد ولا تربطه به روابط وهؤلاء يجنحون في ذلك وجهة اقتصادية، تسقط أمامها كل الصلات الاجتماعية والنفسية، وقد سادت هذه النظرة الوطن العربي في عصرنا الحالي بحثا من أبنائه عن توفير الحياة المريحة البعيدة عن المعاناة والأتعاب المختلفة، إذ يتسابقون إلى الهجرة لأماكن غير أوطانهم التي ألفوها وشبوا على أرضها وتسامروا في روضها.

والمتفق عليه حاليا أن مصطلح الوطن، هو البقعة الجغرافية الواضحة الحدود، والمعترف بها عالميا، والتي تضم شعبا ولغة وتاريخا مشتركا وعادات وتقاليد معينة، وديانة خاصة في معظم الأحوال، إذ سبب ظهور هذا المفهوم يرجع في الحقيقة لعدة عوامل منها الحربان العالميتان الأولى والثانية، اللتان قلبتا موازين العالم رأسا على عقب، وكثافة موجة الاستعمار الذي أصل مفهوم الوطن لدى الشعوب المظلومة، فتولدت عن ذلك مصطلحات عدة منها: المطالب الوطنية، الحقوق الوطنية، الدولة الجزائرية، الوطن الجزائري ... إلخ من الوطنيات المحدد بهذا المقياس.

وقد أدى ظهور القوميات والتيارات المتعددة الاتجاهات إلى اتساع مدلول الوطن أكثر إذ أصبح شاملا لمجموعة من الدول والشعوب التي تشترك في معتقد واحد وفي انتماء عرقي واحد أو سمة حضارية واحدة، ويكون«المعنى أشمل إذا قصد بالوطن، وطن قومية من القوميات كالوطن العربي مثلا، ويكون أكثر شمولية إذا نظرنا من الوجهة الإسلامية حيث وطن المؤمن...هو العالم أجمع والأصل عنده الإسلام»(10).

ب- الشعر الوطني: ويذهب الكثير من الدارسين والباحثين إلى أن الشعر الوطني «هو الذي يدور حول قضايا الوطن ومشكلاته السياسية والاجتماعية والذي يصور حب الإنسان لوطنه ولأبنائه إنه تعبير عن مواقف وآراء قامت في ضمير أبناء الوطن، فوعاها الشعراء وأدركوا أبعادها، وتأثروا بها فغدت لديهم تجربة شعورية حادة، فعبروا عنها تعبيرا صادقا، وأسبغوا عليها من عواطفهم فغدت قادرة للتأثير في نفوس مواطنيهم»[11]، وهو الشعر الذي ارتبط بالوطن منافحة ودفاعا وتمكينا وتغنيا وتمجيدا إنه «صورة لوجدان المواطنين وتعبيرا عن أمانيهم وأحلامهم وتجسيدها نفسية الشاعر»[12].

فالشعر الوطني بعد أن كان أبياتا في قصائد فإذا به يصبح في العصر الحديث قصائد قائمة بذاتها، بل فنا أبحر فيه الشعراء وعاشوه بكل حواسهم ولعل أروع مثال في الشعر الوطني الظاهرة التي سادت الشعر المهجري في العصر الحديث، وكذلك الشعراء الوطنيين ومن أشهرهم: أبو القاسم الشابي القروي، أحمد شوقي، في أخريات حياته، شعراء الأرض المحتلة (إبراهيم طوقان، محمود درويش، سميح القاسم).

2- موضوعات الشعر الوطني الجزائري في كتاب المرحلة المتوسطة (السنوات الأربع): برزت جهود القائمين على تحديث البرامج التعليمية في مختلف الأطوار التعليمية، من خلال إعادة تأليف الكتب الموجهة للتلاميذ في مختلف المواد الدراسية والأنشطة التعليمية، وقد مس هذا التغيير التعليم المتوسط، إذ شهد نقلة نوعية وتغييرا مثمرا، وعرفت مادة اللغة العربية تغييرا في المنهجية وطريقة تقديم الأنشطة، وتنوعا ثريا في نصوص الكتاب المدرسي في السنوات الأربع، حيث تنوعت موضوعات الكتاب بين التربوية التعليمية والوطنية والقومية والاجتماعية ترفيهية والاقتصادية والعلمية والطبيعة وجمالها وغيرها التي من شأنها تنمية الذوق الأدبي والفني والعديد من المسائل التعليمية والبيداغوجية.

وقد شكل الشعر الوطني خاصة الجزائري في الكتاب المدرسي للمرحلة المتوسطة أحد الموضوعات التي تجلب انتباه التلميذ واهتمامه، وتسهم بشكل فعال في تنمية مقوماته الشخصية وتعزيز روح الانتماء إلى بلده الجزائر وتجذر هذا الحب في نفسه، فللتربية والتعليم دور كبير في تربية التلميذ على الفضائل الكريمة والقيم الرفيعة والعمل على تنشئته تنشئة صالحة تؤهله للمنافحة عن وطنه، لذلك فهو في حاجة إلى أن يعرف ذاته ، ويعرف البيئة المادية المحيطة به والكتاب من خلال موضوعاته «يسهم في تهيئة الفرص اللازمة لتلك المعرفة حيث يقدم مجموعة من الخبرات فيها حكمة الإنسان وآماله وطموحاته وآلامه وأخطاؤه ورغباته وشكوكه، والأطفال يميلون بصدق إلى أن يتذوقوا هذا السجل الحافل، ولا أدل على ذلك من شغفهم بالقصص التي تروى عليهم أو يقرؤونها، ومحاولتهم الجاهدة لفهم الكلمات المكتوبة الزاخرة بهذا السجل»(13).

ولعل الشعر الوطني الجزائري أصدق شعر وطني في أعظم ثورة في الوطن العربي، الذي اجتهد المؤلفون للكتاب المدرسي الاستفادة منه بما يتوافق مع سن ومرحلة التلميذ في هذا الطور، خاصة أن الشعراء الجزائيين استطاعوا تسجيل الثورة بأحداثها في جميع مراحلها وفتراتها التاريخية، وتغنوا بالجزائر وطنا ومسكنا وأرضا وأما وحبيبة وصوره في أجمل الصور وزينوه بأبهى الحلل بقصائد رائعة متطلعين ليوم الحرية، ومخلدين تاريخهم لأبنائهم صغارا وكبارا فهم «لا يتلمسون في ملامح الجزائر الثائرة إلا ملامح قصيدة أزلية في دوي الرصاص وجماجم الموتى، وتدفق النجيع متسع الالتماس بالأوزان والقوافي والبحور»(14).

والمتفحص للكتاب المدرسي الموجه لتلاميذ المرحلة المتوسطة، يلاحظ حضور الشعر الوطني، وهذا لتحقيق الأهداف العامة للتربية والتعليم وتوجهات القائمين عليه وهي تنمية حب الوطن والاعتزاز برموزه، وذلك بنصوص شعرية

جزائرية وغير جزائرية، وسنحاول التركيز على موضوعات الشعر الوطني الجزائري المدرجة في الكتاب وهي كالتالي :

أ- الوقوف عند المحطات التاريخية للثورة التحريرية: وقف الشعر الجزائري على الإشادة بحب الجزائر فالشاعر «غارق في حب وطنه إلى أعمق أعماقه لأنه معذب بهواه هائم فيه ولذا عاش مؤرقا بحب وطنه متشوقا إليه لا يهدأ من هجبة الحنين إلا ويعاوده هذا الحب مما جعل حب الوطن يتضخم كلما كبرت المأساة وكلما عاوده القلق وتملكه الخوف»[15] واهتم القائمون على الكتاب المدرسي بتنمية هذا الحب من خلال ربط التلميذ بتاريخه عن طريق النصوص الشعرية الجزائرية التي خاضت التجربة الوطنية بحق وكان شعرها يصدر عن صدق وحب وعمق عاطفي ومن هذه النصوص القليلة جدا في الحقيقة، قصيدة نوفمبر لمفدي زكرياء مقتطفة من الألياذة، حيث يقول الشاعر:[16]

نوفمبر جل جلالك فينا ألست الذي بث فينا اليقينا
سبحنا على لجج من دمانا وللنصر رحنا نسوق السفينا
وثرنا نفجر نارا ونورا ونصنع من صلبنا الثائرينا
ونلهم ثورتنا مبتغانا فتلهم ثورتنا العالمينا
جمعنا لحرب الخلاص شتاتا سلكنا به المنهج المستبينا
ولولا التحام الصفوف وقانا لكنا سماسرة مجرمينا
شغلنا الورى وملأنا الدنا
يشعر نرتله كالصلاة
تسابيحه من حنايا الجزائر

فالنص موجه لتلاميذ السنة الأولى متوسط ضمن وحدة الأعياد الوطنية ومدرج تحت قسم النص الأدبي الذي يقرأه التلاميذ، وتوجه لهم جملة من الأسئلة التي تختبر فهمهم للنص تحت عنوان البناء الفكري والبناء الفني مع شرح

للمفردات الصعبة، إن هذا النص لشاعر الثورة مفدي زكرياء الذي عرف بمواقفه الثورية من خلال الإلياذة التي خلدت تاريخ الجزائر ووصفت جهادها ومعاناتها من الاستعمار، فالنص غني بالدلالات الثورية والمشاعر الوطنية التي من شأنها الارتقاء بالتلميذ إلى حب الجزائر والاعتزاز بتاريخها خاصة شهر نوفمبر الذي كان مطلع الثورة التحريرية ولحظة التحول إلى المطالبة بالحرية مهما كان الثمن، فالنص يصف القيمة التاريخية لنوفمبر فهو ملهم الشعب الجزائري اليقين بالاستقلال والتحرر من الاستعمار، فبذل في سبيل هذا المطلب الغالي والنفيس وقد تحقق بفضل الإتحاد والتضامن والتكافل والإجماع على كلمة الاستقلال ومحاربة الظلم وتغذية الثورة بقوافل الشهداء الأبرار.

كما يتضمن كتاب السنة الثانية نصا شعريا لمفدي زكريا في المطالعة الموجهة بعنوان يا سيل قف يصف فيه الزلزال العنيف الذي ضرب منطقة الشلف (الأصنام سابقا) في السنة الثانية التي اندلعت فيها الثورة التحريرية، حيث يركز النص على معاناة الجزائريين إثر هذه الحادثة التي صادفت الثورة التحريرية وهي تشق طريقها إلى النجاح، لكن الزلزال أثر سلبا على حالة الشعب الجزائري الاجتماعية والاقتصادية حيث يقول : (17)

أمانـــــا ألا يـا سمـــا أقلعـــي فقد صبـــت الأرض أنكالها
ويـا أرض رحمـــــاك لا تبلعـــي صبايـــا البـلاد وأطفـــالها
ويا سيـل قـــف واحتشـــم إن في طريقـــك أكبـاد يرثـى لها
كأنـــك والنـــاس حيـــهم كمن مـات قد جئت غسالها
جرى ما كفى هل كفى ما جرى؟ كفى بالجـــزائر مـا نالها
ويا خطب رفقـــا بهـــذي البـلا د ألـــم تر يا خطب أحمالها
ألـم ترهـا بيـــن جهـــل وفقر تـــجـــرر للـمـوت أذيـالها

إن النص يعرض لحادثة تاريخية مأساوية أصابت الجزائر وهي الزلزال الذي ضرب احد مناطقها، فزاد الهموم والآلام على أفراده الذين يعانون أعباء

الاستعمار و سوء الأوضاع في مختلف المجالات، فالشاعر يشتكي لله تعالى هذا الوضع ويدعوه أن يخفف الوضع ويرأف بفئات الشعب، لأنه يعاني من قسوة الفقر والجهل والتشريد والأمراض التي فرضها عليه الاستعمار بغاية إضعافه وذله، فالنص يضع التلميذ في قلب الحدث ويبعث في نفسه حب الوطن والاعتزاز بثواره وشعبه الأبي الذي عانى الأمرين للفوز بالحرية، كما يبين ظلم الاستعمار الفرنسي الذي لم يرحم ضعف الجزائريين، ويصف النص بشكل عام معاناة الشعب الجزائري في مختلف الظروف القاسية، وهذا يزيد من حب الوطن والاعتزاز باستقلاله وكذلك يكسبه ثقافة تاريخية للأحداث المصاحبة لثورة الفاتح نوفمبر 1954.

ب- الاعتزاز بالراية (العلم): من الأبعاد الوطنية التي اهتم بترسيخها الكتاب المدرسي في شخصية التلميذ من خلال الشعر الجزائري التغني بالراية الوطنية (العلم) والاعتزاز بها، وذلك في الوحدة السابعة المعنونة بالحنين للأوطان، وقد أدرجت قصيدة العلم للشاعر مبارك جلواح في نشاط النص الأدبي التي يقول فيها: (18)

عش هكـــذا في علو أيها العلـم فإننا بـــك بعـــد الله نعتصـــم
جـــاءت تحييك من قـــرب مبينـة أفراحهـــا بك فانظر هذه الأمم
إن العيـــون قريرات بما شهدت والقلب يفـــرح والآمال تبتسـم
إن احتقرت فإن الشعـــب محتـقر أو احتـــرمت فإن الشعب محترم
الشعب أنت وأنت الشعب منتصبا وأنت أنت جلال الشعب والعظم
فإن تعش سالمـــا عاشت سعادتـه وإن تمت ماتت الآمـــال والهمم
هذا الهتاف الذي يعلـــو فتسمعه جميعه لـــك فاسلـم أيـها العلـم

فالشاعر يعتز براية الجزائر هذه الراية من خلال القصيدة التي بدورها تثبت هذا الشعور في نفس التلميذ الذي يقف في تحية طيلة الأسبوع للعلم مرددا النشيد الوطني، في شموخ وأنفة، حيث تزدحم المشاعر المحبة للوطن، ورموزه

ومنها الراية التي استشهد لأجلها الآلاف لأنها «راية العز والسيادة باخضرارها واحمرارها، وبنجمتها الخماسية أنها راية دولتنا التي يجب أن نعتز بها، ونمكن لها وندافع عنها لأنها تظلل المجاهدين في الجبال والوهاد، فهي ترفرف دوما إنها راية الأمجاد والأجداد وراية الأحرار»[19].

إن القصيدة تجعل التلميذ في هذا المرحلة يقدس العلم الجزائري ويؤمن به كرمز للوطن وحريته، فالعلم بتاريخه الطويل ذو مكانة في نفوس الشعب، فهو صورة الوطن المصغرة، وجدير «بأن يحظى من الشعر بوقفات تقديس وإجلال ولفتات افتتان وهيام فتخفق في خفقاتها أوزانه وقوافيه، ولم يقل الشعر عن السلاح وفاء للعلم الجزائري فلطالما حياه بطرف مطرق وقلب خاشع»[20] يدل على عظمته في نفسه، فالتلميذ يدرك من خلال القصائد الوطنية المشيدة بالعلم أن الشاعر يصفه ويرسمه بريشته الشعرية وبالألوان التي «يستمدها من الطبيعة الجزائرية وأخلاق أبناء الجزائر ومواقفهم البطولية فالعلم فلذة من أكبادهم ودفقة من دمائهم وقطعة من وطنهم الأخضر ونسيج من عروقهم النابضة فهو بذلك أهل لأن يفدى بالغالي والنفيس»[21]

ج- التغني بالحرية والاستقلال: شكل موضوع التغني بالحرية أحد موضوعات النص الشعري الوطني الجزائري في الكتاب المدرسي إذ الغاية منه تظهر «في إذكاء هذه القيمة في نفس الطفل وتنميتها، وتعريفه بها، لتصبح احد مكونات شخصيته التي لا يغادرها أبدا مهما اختلفت الأوقات وتعددت الظروف، إن إشباع الطفل بقيمة الحرية وأثرها على الحياة بواسطة صور واقعية من تاريخ وطنه، الذي سيكثف الاعتزاز به ويتعرف على قيمة حريته ما قاساه في ماضيه وما ينتظره من تحديات في مستقبله»[22].

وقد اختار المؤلفون لكتاب السنة الثالثة متوسطة محور الإنسان والحرية وأدرجوا فيه نصا شعريا للشاعر الجزائري حمود رمضان "الحرية" في نشاط المطالعة الحرة وقد تضمنت القصيدة ستة عشر بيتا يقول فيها الشاعر :[23]

لا تلمنـــي في حبـــها وهـــواهـا لست أختار مـا حييت سواها
هي عينـــي ومهجتـــي وضميـــري إن روحي ومـــــا إليه فداهـا
إن عـــمـــري ضحيـــة لأراهـا كوكبا ساطعا ببرج علاهـا
فهنائـــي موكـــل برضـــاهـا وشفائي مسلـــــم بشقاها
إن قلبـــي في عشقهـــا لا يبـالـي تنطوي الأرض أم يخر سماها
قد قضى الله أن تكون كصوت وقضى أن يرد روحـي صداها

فالشاعر يتغنى بالحرية ويجسدها في صورة الحبيبة التي تحب وتعشق ولا يجد عنها بديلا، فهي تحتل كامل كيانه وتملأ حياته وتمتلئ بها روحه، فهناه وراحته أو شقاؤه مرتبط بها، هذا النص بمعانيه السامية حول الحرية يرسخ في ذهن وروح التلميذ حبها وعشقها ويحس بقيمة هذه النعمة ويشعره بفضل الله عليه لأنه أعان ووفق شعبه لافتكاكها من المستعمر الغاشم مما يضخم في نفسه حب الوطن والاعتزاز به، ويزيد من تأجج الوطنية في حياته، فالشعر يكتنف التضخيم وكثافة الدلالة والإشارة الجميلة، فبنيته تشير وتلمح ولا تصرح وهذا ما يجعل التلميذ يمعن النظر ويدقق في دلالات القصيدة ويتفاعل مع معانيها ودلالاتها المختلفة وخاصة حين يربط رمضان حمود الحرية بالطبيعة متمثلا شكلها في الطيور المحلقة في السماء والتي تحمل رسالتها للشعوب بالسلام والأمن بلغتها البليغة الجميلة، حيث يقول الشاعر في نهاية النص: (24)

أيها الطائر المحلـــق فوقـي هل أجد فيك حكمة وانتباها
أترى هل تكون مني رسولا يحمل الســـر للحبيب وجاهـا
بلغيهـــا مقالة من صديـق حين تأتـــي ديارهـــا وتـــراهـا

د- الاعتزاز بثوابت الشخصية الوطنية: حاول الكتاب المدرسي التركيز على الثوابت الوطنية، وتعريف التلميذ بها والتفاعل معها في عالم معاصر يتطلب فيه الحفاظ على الهوية الوطنية واحترام الخصوصية المميزة لأي شعب من الشعوب، فأدرج في كتاب السنة الثانية في محور الفنون تحت نشاط للمطالعة

والحفظ نصا شعريا جزائريا بعنوان شعب الجزائر للشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي يقول فيه :[25]

شعب الجـــزائر مسلم وإلى العـــــروبة ينتـسب
مـــن قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كـذب
أو رام إدمـــاجـــا لـــه رام المحال مـــن الطلب
يـــا نشء أنـــت رجاؤنا وبك الصبـاح قد اقترب
خـذ للحيـــاة سلاحها وخض الخطوب ولا تهب

فالشيخ يبين ملامح الشخصية الجزائرية وأصولها الضاربة في الإسلام وانتسابه للعروبة، والتزامه بهذا الطريق الذي يعد أصله ومنبته مهما تعرض لحملات التغريب والإدماج التي مارسها المستعمر قديما وتمارسها قوى خارجية حديثا، فالقصيدة تعرف التلميذ بمقومات شخصيته وتسعى لإقناعه بالحفاظ عليها والثبات عليها لأنها تمثل جوهر حب الوطن والوطنية، وتتمثل في الدين الإسلامي واللغة العربية والوطن الجزائر، كما تزرع القصيدة في نفس التلميذ مجموعة من القيم النبيلة التي يجب أن يتحلى بها شبابنا وهي العزم والمثابرة في الحياة وعدم الرضى بالذل والظلم، ومقارعة المستعمرين ودحرهم، حيث يقول:[26]

واقلع جذور الخائنيـن فمنهم كل العطـب
واهزز نفوس الجامديـن فربما حيي الخشـب

ويرسل الشيخ وصيته في آخر القصيدة للشباب الجزائري، التي يجب على التلميذ وعيها والتمسك بها والمثابرة على العمل بها وتظهر في قوله:[27]

هـذا لـــعـــهـدي بـه حتى أوسد في التـرب
فإذا هلكت فصيحتـي تحيا الجزائر والعـرب

هـ- الافتخار بالجزائر أرضا وشعبا: شكل موضوع الاعتزاز والافتخار بالجزائر وطنا وأرضا موضوعا رئيسا للشعر الوطني الجزائري في الكتاب

المدرسي حيث ركز على تضخيم هذا الحب الموجود أصلا بالفطرة من خلال حب المكان الذي ولد فيه الإنسان وينتمي إليه بالطبيعة، فذهب الكتاب إلى انتقاء قصائد تتغنى بحب الجزائر وطنا، ولفت انتباه التلميذ إلى هذا الجانب حتى يهتم به من خلال« إدراكه لجماليات المكان وقيمته الروحية والمعنوية فينغمس في عشقه أكثر ويتقدس في نفسه فلا يطيق فراقه، ويبذل في حبه النفس والنفيس»[28].

ولعل القائمين على تأليف وإعداد الكتاب رصدوا مجموعة من القصائد التي اعتنت بهذا الجانب ومنها قصيدة بلادي احبك لمفدي زكرياء الموجهة لتلاميذ السنة الثالثة في نشاط المطالعة الحرة والمقتطفة من الإلياذة التي يقول فيها: [29]

بلادي أحبك، فوق الظنون ❖ وأشدو بحبك، في كل نادي
عشقت لأجلك كل جميل ❖ وهمت لأجلك، في كل وادي ...
ومن هام فيك، أحب الجمال ❖ وإن لامه الغشم، قال : بلادي

فالقصيدة ترسخ حب الجزائر وتتغنى بحبها وجمالها وهيام الشاعر بها فراح يختار لها كل جميل ومفرح ومبهج لأجلها ، ويفاخر بعشقها كل مظاهر الطبيعة، واصفا تفرد أرضها بالاخضرار والخير الدائم، وهذا ما يعكسه نص مبارك جلواح "جزائر الغد" في الكتاب نفسه، التي يتغنى فيها بالجزائر وجمالها، ويتصور مستقبلها المزهر المحمي من طرف شبابها الأسود، المشمرين عن سواعدهم للبناء والتشييد، والمفكرين في تطورها ورقيها، ويدعو الله تعالى أن يحفظها دوما بلادا حرة ومتطورة حيث يقول: [30]

جزائر الغد ما أبهاك في نظري ... من صورة تسبي عقلا للفتى الأرب
كم تسفرين على ما في مخيلتي ... سفور شمس الضحى من برقع السحب
وأنت في عالم دون اللحاق به ... دنيا تشيب بني جيلي ولم تشب؟
ترى تسالمني الأيام يا أملي ... حتى أراك كما أهواك عن كثب؟

حتى أراك بأفق المجـــد ساحبـة بيـن الـدراري ذيـول التيـــه والعجب
وحول غابك أسد اللّه في فلـك مـــن الملائك تـتـلو آيـة الكـــتب
فاللّه يحييك في عـز وفي شـرف ومـــن يحـبـــك في يـمـــن وفي طرب

كما أدرجت نصوص تشيد بالمدن الجزائرية تعرض تاريخها وقصة جهادها المشرف في الثورة التحريرية، مما يعرف التلميذ بجوانب مشرقة من تاريخ الجزائر ويلهمه حب الجزائر بمدنها وقراها ومداشرها لأنها تمثل قطعة منها وكل ركن فيها شهد الكفاح وقوافل من الشهداء الأبرار، فهذه النصوص الشعرية تعزز حب الوطن وتغرس في التلميذ الافتخار بالانتساب إليه، ومن هذه النصوص، قصيدة شرشال التاريخية لمفدي زكرياء المقتطفة من الإلياذة في كتاب السنة الثالثة تحت نشاط المطالعة الحرة التي يقول في أحد مقاطعها:(31)

أشرشال هلا تذكرت يوبـا ؟ ومن لقبوا عرشك القيصرية ؟
لمـــاذا يلقـــب يوبـــا بثـان ؟ أما حقـق السبق في المدنية ؟
وباهى بشرشال جنة عـــدن ؟ وزان حدائقهـــا السندسية ؟
أما كـــان أول من خط رسمـا لوجـــة جزيرتنـــا العربيـة ؟
أمـــا شـــاد يوبا بشرشال للعـلـ ـم أول جـــامعـــة أثـــريـــه
وهـــذا أبولـــوس كان طبيـــبا يدين لـــه العلـــم بالعبقريـــة

إن القصيدة تلقن التلميذ بعدا وطنيا يتمثل في القيمة التاريخية لشرشال وبما تشتهر به، على مر العصور، كما تبين للتلميذ عراقتها وقدمها أصلها الحقيقي، كما تعرض أعلامها من حكام وجنود وعلماء شادوا أركانها وبنوا دورها، فيرتسم في ذهنه ووجدانه عراقتها ويعتز بانتمائه إليها.

وتواصل النصوص الشعرية الجزائرية الوطنية الافتخار والاعتزاز بالمدن التي تعد قطعة من الجزائر الأم، وذلك في نص للشاعر محمد العيد آل خليفة بعنوان تمقاد في كتاب السنة الرابعة تحت نشاط القراءة، حيث تشيد القصيدة بجمال المدينة وما تحتويه من آثار رومانية ضاربة في التاريخ تعكس مدى الحضارات

التي تعاقبت على الجزائر مما يظهر التنوع الحضاري والثراء الثقافي، وهذا يكسب التلميذ ثقافة تاريخية ويقوي في نفسه حب الجزائر والمفاخرة بتاريخها القديم الممتد عبر أحقاب تاريخية عميقة، مما يرسخ حب الوطن بشكل عام حيث يقول الشاعر : (32)

وقفت علـى تمقـــاد جائـل وطفت بها مستـــرشـدا بالدلائـل
عجبت لها من بلـــدة أثريـة خلت منـذ أجيـــال طوال دوائـل
صفائحهـا منقوشة بلسانـها على من يرى معروضة كالرسائل
تماثيلها تبدي لنا كل بـادن قويم من الأجسام جعد الخصائل

وتحت نشاط المطالعة الموجهة في كتاب السنة الأولى أدرج نص شعري وطني جزائري بعنوان "صحراؤنا" يفتخر فيه الشاعر أبو القاسم خمار بجمال الصحراء الجزائرية مبينا خيراتها التي حباها الله بها ويفتخر بشساعتها وجمال ليلها وضوء نهارها فهي جنة غناء لأنها قطعت من الجزائر أم المعجزات، فهذه القصيدة مليئة بالقيم الوطنية التي من شأنها إكبار حب الجزائر وتمكين الاعتزاز بها في نفس التلميذ مما تجعله يشتاق إلى زيارة ربوعها والتمتع بخيراتها والارتواء من جمالها المسكون في كل أركانها وهذا هدف روحي ووجداني ومعرفي يسعى المشرع لتحقيقه والوصول إليه، حيث يقول الشاعر: (33)

(1)	(2)	(3)	(4)
وبصحرائي الغنية	وتراتيل أصيل	أيها السائل عني	وطموحا و جمال
نصب المجد خياما أبدية	في سمائي في بحاري	أسمر الجبهة شاعر	أنا حققت مصائر
أصبحت فيها رمالي ذهبا	في رحاب النور سائر	في كباري في صغاري	**وهتافي لم يزل ملء الحناجر:**
وسراب كان أضحى لهبا	الجزائر.. الجزائر...	أنا في صحو نهاري	الجزائر... الجزائر ...
وحكايات الأماني شهبا	أنا بنت النور	أنا في عمق انتصاري	أنا بنت النور..
جنة حلم جميل	أخت النار	بيد أحمل شمسا من جلال	أخت النار...
وسناء ونخيل	أم المعجزات	وبأخرى أبذر الدهر نضال	أم المعجزات...

3- التشكيل الفني للنصوص الشعرية الجزائرية الوطنية في الكتاب المدرسي : لعل المتمعن في النصوص الشعرية السابقة يلاحظ اشتراكها في عدة مميزات فنية أهلتها ليختارها المعدون للكتاب، لكونها تتوفر على الموضوع الوطني الذي يتماشى مع الهدف الأساس للكتاب والسياسة العامة لوزارة التربية الوطنية، وهي إرساء وتعزيز الثوابت الوطنية، وغرس حب الجزائر في أبنائها من خلال النصوص الشعرية الداعمة لهذا المنحى، وليصل النص الشعري الجزائري لتحقيق المهمة، عليه أن يتدثر بسمات فنية معينة تساعده على الولوج إلى عالم التلميذ والتعايش مع نفسيته، وتتوافق مع عمره ونمط تفكيره ودرجة استيعابه للخطاب الموجه إليه، لذلك اتخذت النصوص المختارة حلة فنية مشتركة كشفت من خلالها جمالياتها الفنية وتقنياتها الأسلوبية وقوتها التعبيرية وتتمثل هذه السمات في :

1- أغلب القصائد أخذت من إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء حيث تمثلت في أربع قصائد (نوفمبر، بلادي أحبك، شرشال، يا سيل قف) وذلك بنسبة تقدر بـ 40 %، وهذا لشيوع نصوص الإلياذة بين الناس وطبيعة موضوعاتها التي تصب كلها في التغني بالجزائر وتاريخها الثوري وتعرض محطاتها عبر العصور، لذلك وجد فيها المؤلف للكتاب ضالته ومسعاه وحققت له هدفه وهو إرساء البعد الوطني في روح وكيان التلميذ، كم تعرف الإلياذة .

2- شغلت القصائد الوطنية الأخرى نسبا متقاربة توزعت بين الشعراء الجزائريين فمبارك جلواح بقصيدتين بنسبة 20 %، ولكل من محمد العيد آل خليفة و ورمضان حمود وأبي القاسم خمار وابن باديس قصيدة واحدة بنسبة 10%، لكل شاعر مختارا القصائد التي تخدم الموضوع الوطني والذي يتناسب مع الوحدة المدروسة، رغم أن للشعراء المذكرين سابقا دواوين في الشعر الوطني والاعتزاز والافتخار به وتشتمل على مختلف الجماليات اللغوية والأسلوبية لكنها لم تلق الاهتمام من قبل معدي الكتاب.

3- تشتمل القصائد الوطنية المختارة على صور شعرية بليغة المعنى بسيطة التركيب سهلة الإدراك قوية الدلالة من اجل إيصال الفكرة جلية واضحة للتلميذ، من خلال اعتماد الأشكال البلاغية المعروفة للصور (التشبيه والاستعارة والكناية) دون اللجوء إلى التعقيد أو الإكثار من الرموز المغلقة التي يصعب على التلميذ إدراكها وفهم كنهها مثل قصيدة صحراؤنا لأبي القاسم خمار وقصائد الإلياذة وجلواح.

4- اختارت القصائد الوطنية المختارة لغة سهلة في تراكيبها وصيغها بليغة في معانيها، موحية بتعابيرها، لا تستخدم الحوشي والغريب من الكلام بل توظف ألفاظا وعبارات قريبة من تناول ومحيط التلميذ(صحرائي، رمالي حكايات، النور، صغاري، نخيل، جميل..)، فهي اللغة التي يناقش بها النص ويحلل مضمونه ويعلق على محتواه ويعبر من خلال أفكاره، رغم اشتمال بعض القصائد على مصطلحات وأسماء تاريخية إلا أنها كانت ترفق بشرح لغوي في الكتاب، مما يسهل على التلميذ إدراك معنى البيت الشعري بسهولة مثل قصيد شرشال لمفدي فقد شرح اسم يوبا وأبليوس، أما باقي القصائد فقد كانت ميسورة اللغة تنساب طيعة في سهولة ويسر .

5- تدثرت القصائد الوطنية بإيقاع ممتع يتماشى مع الجو المفرح للأطفال وبموسيقى مؤثرة لافتة للانتباه تعكس الثقافة المحافظة والملكة الشعرية للشعراء الجزائريين الذين تربوا على أنغام الشعر العربي في مختلف عصوره وعلى توظيف تشكيل موسيقي داخلي يهز النفوس ويشعرها بحب الجزائر والافتخار بثورتها المباركة، من خلال الانسجام المحقق بين الأصوات والتوافق بين الحروف، كما عكست الموسيقى الخارجية ببحورها وأوزانها وتفعيلاتها مدى تفاعل التلاميذ مع أنغامها المطربة التي تحيي في نفوسهم الاعتزاز بالجزائر أما ووطنا وحبيبة، وتؤكد هذا الشعور قوافي وإيقاع القصائد الوطنية الممتلئة حبا وعشقا للجزائر.

4- الشعر الوطني الجزائري بين الحضور والغياب في الكتاب المدرسي :

لعل المتتبع للإصلاحات التي تقوم بها المنظومة التربوية في الجزائر يجدها تعتمد على الارتقاء بالعملية التعليمية واستثمارها في جميع المجالات، والاستفادة من التحصيل العلمي والتربوي للمتعلمين، بغية تنشئة جيل يتخذ من العلم والمعرفة سلاحا للفوز بالسباق الذي يشهده العلم المعاصر، ومن الحفاظ على الهوية الوطنية والخصوصية الاجتماعية وقاية من أشكال الاستلاب والاغتراب ومن الأصالة والمعاصرة وسيلة للتصدي لسلبيات العولمة، ومحاولة التجديد في المناهج التعليمية والتربوية في جميع المواد ونشاطاتها وفق ما يتماشى والتطور العلمي وما يعيشه المتعلم في حياته المعاصرة، ونظن أن النص الشعري الجزائري بشكل عام والوطني والثوري بشكل خاص كفيل بتحقيق هذه الأهداف، لما يكتنفه من صدق في التجربة الشعرية وما يعكسه من مبادئ وثوابت الشخصية الوطنية الجزائرية، وبما يزخر به من تقنيات وآليات فنية وجمالية تسوغ له الاتصال بالتلميذ والتأثير فيه أثناء هذه المرحلة، ونحن نرى مدى تفاعل التلاميذ مع الأناشيد الوطنية ونصوص الإلياذة ومختلف القصائد ذات الطابع الوطني للشعراء الجزائريين سواء من الشعر الفصيح أو الشعبي.

والملاحظ على النصوص المختارة للكتاب المدرسي الموجه للمرحلة المتوسطة أنها كانت متنوعة بين الشعرية والسردية، وذات تنوع بين الأدب الجزائري والأدب غير الجزائري، غير أننا نرصد ملاحظة مهمة وجوهرية على هذا الكتاب بسنواته الأربع نتيجة العملية الإحصائية، أنه أهمل كثيرا الأدب الجزائري بصفة عامة والشعر الجزائري بصفة خاصة ولا نعلم سبب ذلك، مع أن القائمين على هذا المؤلف أساتذة متخصصون في المجال التعليمي والبيداغوجي وعلى علم بالنتاج الأدبي الجزائري لكن رغم ذلك فالنصوص المختارة لم تعن بالشعر الجزائري الوطني على كثرتها في شعرنا الحديث والمعاصر، وعلى جمالياتها الأسلوبية والتعبيرية وشهرتها الفنية، ومدى حب التلميذ لها وانسجام صورها ولغتها وموسيقاها مع طباعه وسلوكه لأنها وليدة بيئته وتاريخه ووطنه، وسنحاول تأكيد ما ذهبنا إليه من خلال هذا الجدول الإحصائي وتمثيله بالدائرة النسبية:

	كتاب السنة الأولى		السنة الثانية ج1+ج2		كتاب السنة الثالثة		كتاب السنة الرابعة		المجموع	
	عدد النصوص	النسبة المئوية	عدد النصوص	النسبة المئوية	عدد النصوص	النسبة المئوية	عدد النصوص	النسبة المئوية	مجموع النصوص	النسبة المئوية
نصوص شعرية جزائرية وطنية	03	% 5.76	02	%02.5	04	%08.33	01	%02.08	10	%04.38
نصوص شعرية غير جزائرية وطنية	04	07.69 %	02	%02.5	03	%06.25	02	%04.16	11	%04.82
نصوص شعرية غير جزائرية عامة	04	07.69 %	05	%06.25	03	%06.25	03	%06.25	15	%06.57
نصوص سردية عامة	42	80.76 %	71	%88.75	38	%79.16	42	%87.50	193	%84.64
المجموع	52	%100	80	%100	48	%100	48	100	228	%100

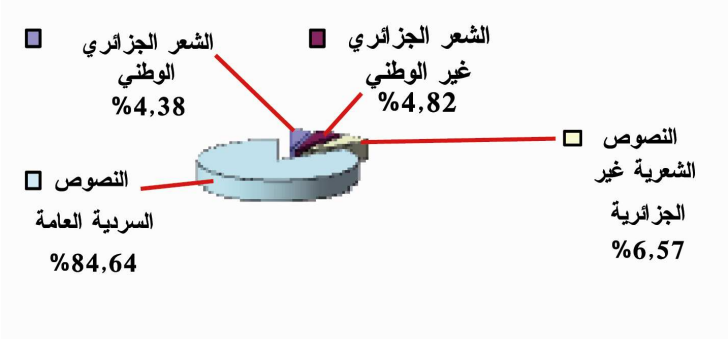

نلحظ من خلال الجدول أن حضور النصوص الشعرية الجزائرية الوطنية كان قليلا جدا حيث يمثل 4.38 % من مجموع النصوص المقدمة للتلميذ والتي سنعتمد عليها في تنمية شخصيته الوطنية والاعتزاز بالجزائر وحبها وطنا وأرضا ينتمي إليها، وكانت النصوص الشعرية الجزائري غير الوطنية أيضا قليلة حيث مثلت نسبة 4.82 % وهي نسبة غير متفاوتة مع الوطنية، وبهذا يكون حضور الشعر الجزائري قليلا جدا في كتاب اللغة العربية للمرحلة المتوسطة وهذا يعتبر نقصا بالقياس إلى ما يزخر به شعرنا الحديث والمعاصر، في حين نجد حضور الشعر غير الجزائري أي المشرقي (شعراء مصريين ولبنانيين وسوريين) بنسبة أكبر حيث مثل نسبة 6.57 %، أما حضور النصوص السردية التي تنوعت بين المنسوبة لكتاب معروفين وبين المأخوذة من المجلات والانترنيت دون نسبتها إلى مؤلفيها، فقد أخذت حصة الأسد بنسبة تقدر بـ 84.64 % حيث مثلت الجزائرية نسبة 8.45 % والمشرقية 76.19 %، وبذلك يكون حضور الأدب الجزائري في الكتاب المدرسي للمرحلة المتوسطة محتشما، ولعل القائمين على التأليف لم يهتموا بهذا الجانب كثيرا، رغم أهميته فقد كان الأولى إدراج نصوص شعرية جزائرية (قديمة وحديثة ومعاصرة) وهي كثيرة كشعر الأمير عبد القادر محمد العيد آل خليفة والربيع بوشامة وشعراء جمعية العلماء المسلمين والشعر المعاصر بمختلف شعرائه الذين امتلكوا ناصية البيان وقصدوا جميل الموضوعات الوطنية، ونصوص سردية جزائرية وأخرى مشرقية منسوبة

لأصحابها حتى يتعرف التلميذ على الأدباء وسيرتهم وإبداعهم، ويمتلك ثقافة أدبية موثقة، فنحن لا نعارض جمالية النص بغض النظر عن مؤلفه، لكننا نسعى إلى أن يتعرف التلميذ في هذه المرحلة على الأدب الجزائري ليعتز به وينسج على منواله.

الهوامش:

1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، م 13، ص 451.

2- نفسه، ص 451.

3- نفسه، ص 451.

4- أحمد رضا، معجم متن اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط 1، 1960 المجلد 5، ص 777 – 778.

5- السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد الجرجاني، التعريفات، تحقيق: عبد الرحمان عميرة، عالم الكتب، لبنان بيروت، ط 01، 1987، ص 308.

6- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، جمهورية مصر العربية، 1990، ص 674.

7- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة العربية، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ج 6 ص 120.

8-عزيزة مريدن، القومية والإنسانية في شعر المهجر الجنوبي، الدر القومية للطباعة، مصر 1966، ص 64.

9- وهيب طنوسي، الوطن في الشعر العربي، منشورات جامعة حلب، سوريا، 1979 / 1980 ص 224.

10- محمد زغينة، شعر السجون والمعتقلات في الجزائر(1954- 1962)، رسالة ماجستير مخطوط، جامعة باتنة، 1989، ص 52.

11- إميل ناصف، أروع ما قيل في الوطنيات، دار الجيل، بيروت، ط 01، 1992، ص 09.

12- نفسه، ص 09.

13- محمد حسين، أدب الأطفال ودوره في التربية، دار المنار، دمشق، ط1، 1987، ص 25.

14- صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 ص 230.

15- محمد زغينة، شعر السجون والمعتقلات في الجزائر، ص 69.
16- الشريف مريبعي وآخرون، كتاب اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم المتوسط، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، 2010، ص 202.
17- بدر الدين تريدي وآخرون، استكشاف اللغة العربية للسنة الثانية متوسط، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، 2005، ج1، ص 70.
18- الشريف مريبعي وآخرون، تنوير – اللغة العربية للسنة الثالثة من التعليم متوسط-، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، 2008، ص 82.
19- الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ص 114.
20- صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، ص 284.
21- المرجع نفسه، ص 285.
22- محمد حسين، أدب الأطفال ودوره في التربية، ص 25.
23- الشريف مريبعي وآخرون، تنوير – اللغة العربية للسنة الثالثة من التعليم متوسط- ص 52.
24- المرجع نفسه، ص 52.
25- بدر الدين تريدي وآخرون، استكشاف اللغة العربية للسنة الثانية متوسط، ج2، ص 116.
26- المرجع نفسه، ص 116.
27- المرجع نفسه، ص 116.
28- محمد حسين، أدب الأطفال ودوره في التربية، ص 25.
29- الشريف مريبعي وآخرون، تنوير – اللغة العربية للسنة الثالثة من التعليم متوسط- ص 127.
30- المرجع نفسه، ص 82.
31- المرجع نفسه، ص 36.
32- الشريف مريبعي وآخرون، كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة من التعليم المتوسط، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، 2009، ص 95.
33- الشريف مريبعي وآخرون، كتاب اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم المتوسط، ص 249.